الجغرافيا الثقافية لمدينة بغداد في القرن الرابع الهجري

(العصر البويهي / انموذجاً)

المدرس / قيس فالح ياسين

كلية الإمام الكاظم (ع) / الجامعة
قسم التاريخ

الكلمات المفتاحية: الجغرافيا الثقافية، بغداد ، العصر البويهي، القرن الرابع الهجري، دور العلم والمكتبات.

ملخص البحث:
يتناول هذا البحث الجغرافيا الثقافية لمدينة بغداد أبان القرن الرابع الهجري. الذي عدّ عصر الإزدهار الثقافي والتطور المعرفي على كل الأصعدة.على الرغم من التراجع السياسي وضعف مركزية الخلافة.
ويتكون البحث من مقدمة وخاتمة وأربعة مباحث، المبحث الأول: مدخل إلى جغرافيا الحياة الفكرية في بغداد أبان العصر البويهي(القرن الرابع الهجري). المبحث الثاني: مراكز الحياة الفكرية في بغداد. المبحث الثالث: دور العلم والمجالس الخاصة. المبحث الرابع: مجالس الحكام والوزراء. وبذلك يعطي الباحث من خلال البحث ومحاوره نبذة عن فاعلية هذه المراكز والمساجد والمجالس والمكتبات ودور الكتب الخاصة والعامة صورة عن الجغرافيا الثقافية لمدينة بغداد في عينة من تاريخها العريق والحافل بالأحداث.

Abstract:

This research deals with the cultural geography of Baghdad during the fourth century AH. An era of cultural prosperity and the development of knowledge at all levels. Despite political decline and the weak centralization of the caliphate.
The research consists of an introduction, a conclusion, and four sections. The first topic: An introduction to the geography of intellectual life in Baghdad during the Buihi era (the fourth century AH). The second topic: Centers of intellectual life in Baghdad. The third topic:
the role of science and private councils. The fourth topic: Governors and Ministers Councils. Through the research and its interlocutors, the researcher gives an overview of the effectiveness of these places, mosques, councils, libraries, and the role of private and public books, a picture of the cultural geography of the city of Baghdad, in a sample of the ancient and eventful history of the cit.

المقدمة:

عدت بغداد منذ نشأتها، في سنة (١٤٥ه)، وتأسيسها على يد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الذي حكم من سنة ١٣٦هـ-١٥٨هـ بكل الأسباب التي جعلت منها مدينة لا تكرر في التاريخ، حيث استقطبت خيوط التطور والتراكم المعرفي الذي تجمع في الأمصار العربية الإسلامية مثل الكوفة والبصرة والمدينة المنورة وباقي الأمصار التي فتحها المسلمون.

وأخذت بغداد بكل مقومات الإزدهار من خلال تطورها، بأنها عاصمة الخلافة العربية الإسلامية، ولاسيما بعد أن رحل إليها مختلف العلماء وفي كل التوجهات العلمية والفكرية والأدبية، حيث نشطت فيها حركة الترجمة، وإنشاء دور العلم، وقد بدأ مع الخليفة هارون الرشيد (ت ١٨٣ه)الذي وضع النواة الأولى لبيت الحكمة، الذي تطور وأزدهر في أيام الخليفة المأمون (ت ٢١٨ه) ووصل إلى أوج ازدهاره.

إن تطور مراكز العلم ومجالس الأدب، ودور الكتب، أخذت أوجه عديدة، فكانت دور العبادة هي السباقة في هذا المجال، حيث مثل المسجد الجامع المركز الأول الذي انبثقت منه الحلقات العلمية التي تناولت مختلف أنواع المعرفة، ومن ثم طورت عن هذه البذرة مدارس فكرية ومجالس، ودور كتب، ودور عامة وخاصة، وكذلك دور لجمع الكتب.

وكان للخلفاء والأمراء والوزراء والميسورين دوراً في تنشيط هذا المراكز التي ساهمت في تطور الحياة الفكرية والأدبية، من خلال رعاية المفكرين والعلماء والشعراء والأدباء، وتوفير أجواء الدعاية الاجتماعية لهم، ودعمهم وتزيين مجالسهم بهم، وقد أخذ الأمراء والوزراء والأدباء يتسابقون في جذب المبدعين في كل الحقول الثقافية.

وقد وصلت المراكز العلمية والأدبية إلى أوجها في القرن الرابع الهجري في بغداد، في زمن الحكم البويهي، حيث كان لبعض بني بوية، حباً للمعرفة وشغفاً في جمع الكتب والمخطوطات، ومجالسة العلماء وحتى عدة بغداد في هذا القرن مدينة ثقافية عالمية.

المبحث الأول

أولاً: <u>مدخل إلى جغرافيا الحياة الفكرية في بغداد في العهد البويهي</u>

احتار الباحثون في تفسير تلك المفارقة العجيبة بين ازدهار الحياة الفكرية والأدبية في القرن الرابع الهجري، وحالة التدهور التي كانت عليها الحياة السياسية والاجتماعية في العهد البويهي، فالانحطاط السياسي وتدهور مركزية السلطة (الخلافة العباسية من جهة) وبين ازدهار الحركات الفكرية والأدبية ودور العلم ومراكز الثقافة في كل جوانبها حتى مثلت عند بعض الباحثين علامة فارقة في حياة الفكرية في ذلك العصر[١].

ولعلهم يكادون يتفقون في تفسير هذه الظاهرة بالتنافس الذي كان قائماً بين أمراء ذلك العصر وحواضرهم المختلفة بعد أن كانت بغداد وحدها تنفرد بالنشاط الفكري والأدبي[٢]. ولقد لخص بطرس البستاني هذا الموقف بقوله إن هذا العصر يمتاز بأمرين مختلفين: "أولهما سوء الحالة في ممالك الإسلام، واضطراب الأمن في جميع الأمصار، وانتشار الدعوات والفتن والحروب. والثاني حسن الحالة الفكرية وقيام المدارس والمكاتب، وازدهار العلوم والآداب، فإن الأمراء المستقلين لم يقتصر تنابذهم وتحاسدهم على أن يقاتل بعضهم البعض، ويكيد بعضهم لبعض، بل تعدى ذلك إلى التنافس والتباهي بتقريب الشعراء والعلماء، ومالوا إلى التساهل فلم يتحرجوا ممن حرية القول والتفكير، فأتسع مجال الارتزاق على أهل العلم، فتفرقوا في الممالك المستقلة وأصبح لهم جملة حواضر ترفه لهم العيش وتضمن لهم الشهرة، بعد أن كان الرزق والشهرة محصورين في بغداد، فانبسطت أحوالهم وفرغوا إلى النظم والتأليف فنهضوا بالفكر الإسلامي نهضة عظيمة، وثم على أيديهم نضج العلوم والآداب"[٣].

إما إذا رجعنا إلى تاريخ العراق ولاسيما عاصمة الخلافة بغداد، فقد شهدت بغداد، منذ انتقال الخلافة إليها، وبالتالي بناء بغداد على أيدي كبار الخلفاء العباسيين (أبو جعفر المنصور، الرشيد، المأمون) تاريخاً غنياً بالفكر والمفكرين، وما جرى في العهد البويهي لم يكن إلا حلقة في

---

[١] التواتي، مصطفى، المثقفون والسلطة في الحضارة العربية، ط٢، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٥، ج١، ص١١٥.

[٢] أمين، أحمد، ظهر الإسلام، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٩٧١، ج١، ص٩٧.

[٣] البستاني، بطرس، أدباء العرب في الأعصر العباسية، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٣٤، ص٣١٩.

سلسلة بدأت في أواسط القرن الثاني الهجري ولم تنته قبل أفول عهد الخلافة في العراق ووسط القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي[١].

وينقل لنا المقدسي، وقد زار العراق في أواسط القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي صورة إجمالية من الحياة الفكرية في هذا الإقليم، واصفاً إياه "بمنبع العلماء"[٢]. وإذ يأسف للتراجع العمراني الذي حصل في زمانه، جراء ضعف سلطة الخلفاء، لاسيما بغداد، إلا إن ذلك، على ما يبدو، لم يتسبب بتعطيل الحياة الفكرية، كونها اختزنت زخماً ملحوظاً سيمكنها من تجاوز الأوضاع الاجتماعية والسياسية المتداعية إلى وقت بعيد[٣].

وما تقدم صورة عامة عن حاضرة إقليم العراق التي شهدت قيام الدولة البويهية، وهي صورة غير زاهية في تاريخ العراق، فالمشهد يعبر عن تراجع عمراني وانحدار اقتصادية بشكل ملحوظ، وهو أمر لا يساعد على توقعات متقدمة على الصعيد الفكري، لكن إذا دققنا بمصادر تنشيط الحياة الفكرية في تلك الفترة، ندرك أنها لم تكن خاضعة لأحوال العامة، بقدر خضوعها لأحوال الخاصة، ممثلة بالأمراء أو الوزراء أو وجهاء[٤].

أ. بغداد محور الحياة الفكرية في العراق البويهي

في الحديث عن مراكز الحياة الفكرية في العراق البويهي، نلاحظ غياب الأخبار عن الأنشطة العلمية والأدبية في معظم مدن وأنحاء العراق، فالمصادر حصرت اهتمامها بما يجري في بغداد غالب الأحيان، وقليلاً ما يرد فيها حديث عن الأنشطة والمراكز الفكرية في الكوفة أو البصرة، أو حتى في واسط وسامراء، وغير ذلك من المدن والنواحي التابعة جغرافياً لهذا الإقليم[٥].

ومن المستبعد أن يكون هذا القدر من المعلومات هو كل ما كان خارج مدينة بغداد صحيح أن الأوضاع السياسية والاجتماعية كانت في شبه اضطراب دائم ولكن بغداد لم تكن أفضل حالاً على الدوام، فقد شهدت نصيباً ملحوظاً من الصراع على السلطة.

وفي أي حال فقد سجلت بعض مشاهد بغداد الفكرية على يد الخطيب البغدادي عبر الحديث عن معظم أعلامها وعلمائها، فكان هذا القدر الكبير من المعلومات. ولكن الأمر كان مختلفاً في المدن والنواحي الأخرى، حيث لم يتعد أحد على طريقة الخطيب البغدادي، في أي مدينة أو ناحية من العراق البويهي، ولا يعني ما تقدم وضع الحاضرة العباسية في مقابل المدن والنواحي الأخرى، بقدر إظهار الفارق غير الواقعي والطبيعي في توثيق الحياة الفكرية في معظم العراق البويهي[٦].

ب. <u>التمازج الجنسي والثقافي</u>

إذا أردنا أن نتوسع في رسم صورة واضحة لهذا التفاعل الذي تم بين الأجناس والثقافات المختلفة الراجعة إلى الشعوب المكونة للإمبراطورية العباسية أو إلى الشعوب المجاورة لها، التي ساهمت في أغناء النشاطات الفكرية والعلمية والأدبية في الحضارة العربية – الإسلامية، فمن الضروري هنا أن نعرض لهذه المسألة ولو بشيء من الإيجاز لأن تأثير العناصر الأجنبية كان عظيماً جداً في مختلف مجالات الحياة العربية الإسلامية، خاصة مع قيام الدولة العباسية التي

---

[١] ابن حوقل، (أبو القاسم الذهبي (ت ٤٥٨هـ/٩٦٩م)، صورة الأرض، منشورات دار ومكتبة الحياة (د.ت)، ص٢٠٧.

[٢] المقدسي، (محمد بن أحمد،ت:٣٨٠ه)،احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،ت: محمد مخزوم،دار أحياء التراث، بيروت ١٩٨٧، ص١٠٣.

[٣] أبن الجوزي،مصدر سابق، ص ١٠٣.

[٤] سلهب، حسن، تاريخ العراق في العهد البويهي، دار الحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٨، ص٣٤٧.

[٥] المرجع نفسه، ص٣٤٧.

[٦] المرجع نفسه، ص٣٤٧.

تعتبر بحق دولة المرامي من الفرس خصوصاً، وكان التأثير واضحاً في البنية الاجتماعية لهذه الدولة[١].

ولم يكن تغلغل النفوذ لغير العرب في المناصب محصوراً في مجالات معينة بل شمل أعلى المناصب سياسية واجتماعية واقتصادية ومواقع متقدمة في هيكل الدول العباسية وهذا ما ذهب إليه آدم متز مثلاً في قول: "إن اختلاط دم الأمة العربية ونضوب قوة الطبقة العليا فيها، التي كانت بيدها القيادة، وبروز الشعوب الشرقية القديمة التي كانت تتألف من أجناس مختلطة، كل هذه تتجلى أوضح ما تتجلى في نشاطاتها الفكرية والأدبية)[٢].

فقد كانت هذه الحقبة مرحلة تأسيسه في ازدهار الحركات الفكرية وتأسيس العقل العربي الإسلامي، لأن هذا العصر صاغ لنا الصورة التي نحملها عن تراثنا لحد اليوم[٣].

وقد كان تاريخ تطور الحركات الفكرية والعلمية، قد مر بمراحل عديدة لعل أبرزها حركة الترجمة، حيث قام الرشيد بتأسيس بيت الحكمة واعتنى عناية فائقة بالترجمة والمترجمين، غير أن هذا التوجه لم يصبح ركناً أساسياً من أركان سياسية الدولة، وتوجهها الإيديولوجي تسيطر عليه في برامج وتصد الأموال وتواكبه بالعناية والمتابعة، إلا في عهد المأمون[٤].

وفي هذه الفترة التي امتزجت فيه الأجناس الداخلة في صلب الحضارة العربية الإسلامية من شتى البقاع التي سيطر عليها العرب المسلمين، وخلت وتماسك في وحدة ثقافية هي الثقافة العربية الإسلامية، حيث كانت اللغة العربية هي المرتكز والأسرة التي تشد مختلف الإبداعات في مناصب الحياة الفكرية كافة[٥].

وقد كان لتأثير والتأثر بين مختلف الشعوب التي ضمتها الإمبراطورية العباسية آنذاك، مثالاً إنسانياً رفيعاً، حيث ضمت في الثقافة العربية الإسلامية، مثل مدرسة جند يسابور، وحران، والرها ونصيبين وغيرها، فغني عن التذكر أن دور الأجناس الأخرى غير العربية المؤلفة للمجتمع العباسي، كان أساسياً في هذه النهضة العلمية الفكرية الأدبية، بل وفي هذه النهضة الحضارية بمعناها الأشمل[٦].

ج. ازدهار الاقتصاد المالي وأثره في الحياة الأدبية والفكرية

رغم أهمية الفلاحة في الدورة الاقتصادية العباسية، فإنهما لم تكن تمثل النشاط الاقتصادي الذي طبع الحياة العامة للمجتمع والدولة العباسية في مرحلة ازدهارهما، وإنما كان ذلك من نصيب التجارة التي أصبحت في فترة مجد هذه الدولة، خلاصة حية ومتطورة لمختلف الأنشطة الاقتصادية وحافزاً أساسياً من حوافز الرقي الاجتماعية والفكري[٧].

وإذا كان من المسلم به أن الدولة العباسية قامت بتحالف فعال بين الارستقراطية الفارسية الموتورة من السياسة العربية للدولة الأموية والتيارات الثورية المنتمية إلى آل البيت، فإنها قامت كذلك استجابة لمطامع فئة اجتماعية ذات قاعدة متوسعة يمكن أن نسميها بالفئة الوسطى، وهي تضم الحرفيين والتجار الذين بدأوا مع أواخر الدولة الأموية، يعون بالإمكانيات العريضة التي توفرها لهم المعطيات المادية الموضوعية للإمبراطورية العباسية الإسلامية، وكانت من نتيجة هذه الزخم المادي في الحياة والمتصاعد بسرعة فائقة، نشأت مجالس السمر التي تطورت إلى

---

[١] سلهب، حسن، مرجع سابق ،ص٣٤٧.

[٢] الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، ط٥، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص٦١.

[٣] متز، آدم، الحضارة العربية الاسلامية في القرن الرابع الهجري،ت: محمد ابوريدة ، دار النهضة، بيروت، ص٤٣٩.

[٤] التواتي، مصطفى، مرجع سابق، ص١٢٢.

[٥] المرجع نفسه، ص١٢٣.

[٦] متز، آدم، مرجع سابق، ج١، ص٢٤١.

[٧] الدوري، عبد العزيز، تاريخ الاقتصاد العراقي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧، ص١٨.

مجالس موازية لها وهي المجالس الفكرية والأدبية والعلمية، حيث أخذ الأمراء والتجار وأصحاب النفوذ يجذبون بأموالهم الفئات المثقفة في الساحة الثقافية[١].

وقد اتسع نطاق هذا الاهتمام كافة أرجاء العالم الإسلامي، يشكل إضافة مهمة في تطور الثقافة العربية الإسلامية، ولقد فسر ابن خلدون تطور الصناعة وازدهارها بالترقي في العمران ومتطلباته فقال: (وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الضائع للتأنق فيها حينئذ، واستجادة ما يطلب منها، بحيث تتوافر دواعي الترف والثروة، وأما العمران البدوي أو القليل فلا يحتاج من الصنائع إلا البسيط، خاصة المستعمل في الضروريات من تجار أو حداد أو خياط أو حائك أو جزار.. وإذا زخز العمران وطلبت فيه الكمالات كان من جملتها التأنق في الصنائع واستجادتها، فكملت بجميع متمماتها، وتزايدت صنائع أخرى معها مما يدعو إليه عوائد التصرف وأحوال (..) وقد تنتهي هذه الأصناف إذا استجر العمران إلى ألآن يوجد منها كثير من الكمالات، والتأنق فيها في الغاية، وتكون من وجوه المعاش في المصر لمنتحلها، بل تكون فائدتها من أعظم فوائد الأعمال"[٢].

وكانت من نتائج ازدهار الصناعة الحرفية والتجارة في الدولة العباسية أن تعددت المدن وتضخمت بالسكان، وتنامت أهمية النشاط الاقتصادي المنتج على حساب اقتصاد أربع، أن تتوازى معه الاهتمام بالكتب والكتاب والأنشطة الثقافية كافة[٣].

المبحث الثاني

مراكز الحياة الفكرية في بغداد

أولاً:- دور العبادة

إن البحث في تاريخ الحياة الفكرية عند المسلمين، لا ينفصل عن حياتهم الدينية[٤]، وبالتالي عن كل ما يرتبط بالحياة الدينية في المضمون والشكل، وكما كانت دور العبادة (جوامع، مساجد) مكاناً رئيساً في الحياة الدينية – الاجتماعية، كذلك فإنها شكلت مكاناً مشهوداً. وربما رئيساً في الحياة عموماً إلا أنه في هذا العهد يحظى بدلالة خاصة، بسبب الواقع المذهبي السائد في الدولة البويهية[٥].

وينقل صاحب تاريخ بغداد[٦]. إن الجوامع الرئيسة في حاضرة الخلافة حتى عهد المتقي لله (ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م) قبيل تسلم بني بوية السلطة في العراق كانت ثلاثة: وهي جامع المدينة، والرصافة، ودار الخلافة، بغد ذلك تم تأهيل أو استحداث ثلاث جوامع أخرى في العهد البويهي وهي جامع براثا[٧]. وقطيعة أم جعفر والحربية[٨] وفيما كان تأهيل براثا واستحداث قطيعة أم جعفر متأثراً بتنامي الحضور الشيعي، فقد دل بناء جامع الحربية على بدء مرحلة استعادة الخليفة لسلطته[٩].

---

[١] التواتي، مصطفى، مرجع سابق، ص١٢٦.

[٢] ابن خلدون، (ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨هـ) المقدمة، ط٥، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ص٣٦٠.

[٣] سلهب، حسن، مرجع سابق، ص٣٤٦.

[٤] حطيط، أحمد وآخرون، التعليم في دمشق في زمن المماليك، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠١، ص٣٤١.

[٥] الخطيب البغدادي، (أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص١٢٣.

[٦] الصولي، (أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ) الأوراق/أخبار الراضي بالله والمتقي بالله باعتناء: ج. هيورث دن، دار المسيرة، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٣٦.

[٧] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مصدر سابق، ص١٢٤.

[٨] المصدر نفسه، ص١٢٤-١٢٥.

[٩] التواتي، مصطفى، مرجع سابق، ص٢١٥.

وقد شكل الجامع في التاريخ الإسلامي واحداً من مظاهر الحضور والسلطة، وليس مكاناً للعبادة فحسب. وهذه سمة لم تنشأ مع تطور التاريخ الإسلامي، بل أخذت شكلها الأول في عهد الرسول (ص)، حيث كان الجامع مساحة اللقاء بين المسلمين، يتبادلون فيه شؤونهم وشجونهم، كما يؤكدن فيه وحدة الجماعة[١].

إن معظم الجوامع الكبرى كانت خاضعة إما للخليفة مباشرة أو لأمير المدينة أو الناحية التي يقع بها. وقد تعددت الجوامع والمساجد بتعدد المذاهب في الإسلام، وعلى الرغم من كون المسجد أو الجامع مشرعاً أمام الجميع إلى أي مذهب انتموا، إلا أن ذلك لم يمنع من اعتماد كل مذهب فقهي في الإسلام مسجداً أو جامعاً خاصاً به، بل أن بعض العلماء، أقام مسجداً اقترن باسمه واستمر على حاله بعد وفاة المؤسس، وكلما كان الاختلاف بين المذاهب واسعاً انعكس ذلك على مظاهر الجامع أو المسجد والزائرين له، ثم إن هذا الاختلاف كان يضغط باتجاه التعدد في بناء هذه المراكز الدينية، لاسيما في المذاهب المختلفة في الأصول والفروع، كما هي الحال عند السنة والشيعة وباقي المذاهب والفرق الإسلامية[٢].

أ. الجوامع العامة.

جامع المدينة:-

يمكن اعتبار جامع المدينة، أو جامع الخليفة العباسي المنصور (ت ١٥٨) الواقع في الجانب الغربي من حاضرة الخلافة أبرز جوامع بغداد، بل العراق، عموماً وأكثرها استقطاباً للعلماء. لدى تتبع تاريخ هذا الجامع لجهة حلقات التدريس، أو المجالس العلمية العامة، فقد حصلت على معطيات تشير إلى أن هذا المركز الديني قد شهدت عشرة حلقة أو مجلساً عاماً للتدريس، خلال العهد البويهي، بصورة متوالية أو متزامنة، ولا يبدو أن هذا العدد يشمل كل الأنشطة العلمية في هذه الفترة، لكن من المرجح أنه قد شمل أبرزها وأكثرها أهمية[٣].

تعتبر حلقة أحمد بن سلمان، المعروف بأبي بكر النجار (ت ٣٤٨هـ٩٦٠م) أولى الحلقات التي برزت في جامع المدينة في بداية العهد البويهي. تتحدث المصادر عن مجموعتين تلقت الفتاوي والحديث في هذا الجامع على يد أبي بكر النجار. وذلك كل يوم جمعة واحدة قبل الصلاة والثانية بعدها. ويبدو أن أحمد بن سلمان قد حظي بثقة أعلام الحديث بعده، وفي مقدمتهم الدار قطني وابن شاهين وابن رزقوية، وتجدر الإشارة إلى أن أبي بكر نجار كان على مذهب أحمد بن حنبل الفقيه[٤].

وقد تعددت الحلقات في هذا الجامع مثل حلقة الفقيه الشافعي أبي القاسم الداركي (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م) كثاني حلقة علمية بارزة في جامع المدينة في العهد البويهي، وكانت الحلقة الثالثة لأبي بكر الدينوري (ت ٤٠٥هـ/١٠١٥م) وحلقة رابعة تعود إلى الفقيه المالكي الضرير أحمد بن محمد المعروف بابن دوست أبو عبد الله البزاز (ت ٤٠٧هـ/١٠١٧م) وقد شهد جامع المدينة (المنصور) حلقات متعاقبة كما تشير إلى ذلك مختلف المصادر التي أرخت لمدينة بغداد[٥].

ب. جامع الرصافة

يعود بناء جامع الرصافة إلى فترة تأسيس مدينة بغداد، حيث قام الخليفة المهدي في سنة (١٥٩هـ/٧٧٦م) ببناء مسجد في الجانب الشرقي لبغداد وفي محلة الرصافة، سمي لاحقاً بجامع الرصافة أو جامع المهدي. ولا يبدو أن الأنشطة العلمية التي كانت تقوم بهذا الجامع مميزة أو متعددة على غرار ما رأينا في جامع المنصور، فقد اقتصرت الحلقات على عدد محدود، وفي بعض الأحيان بشكل مشترك مع جامع المدينة. ومن الملاحظ أن الفترة الأولى من العهد البويهي لم تشهد نشاطاً علمياً في جامع الرصافة، حيث غابت المعلومات عن وجود أية حلقة طيلة العقود

---

[١] سلهب، حسن، مرجع سابق، ص٣٥٠.

[٢] المرجع نفسه، ص٣٥٠.

[٣] منيمنة، حسن، تاريخ الدولة البويهية، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٧م، ص٣٢٣.

[٤] الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ج٤، ص٤١٢.

[٥] التواتي، مصطفى، مرجع سابق، ص١٦١ ونقلاً عن الخطيب البغدادي، ج٤، ص٢٥٧.

الأولى من قيام الدولة. وإذا ربطنا هذه الملاحظة بالوضع السائد في جامع المنصور في هذه الفترة، حيث الحلقات المحدودة، وفي إيقاع زمني بعيد[١].

يبدأ ذكر الحلقات في جامع المهدي في فترة خلافة القادر بالله (٣٨١هـ/٩٩١م) حيث، يجري الكلام عن حلقات أصحاب الحديث، من دون تعيين الشخصية القيمة على هذه الحلقة، وكان كتاب الخليفة في العقائد وفضائل الصحابة. وما ينطوي عليه من تكفير المعتزلة، أو القائلين بخلق القرآن. المادة التي تجمع هذه الحلقة كل يوم جمعة، حيث يستمعون للمادة نفسها على ما يبدو، ولقد بوشر العمل في هذه الحلقة على ما يظهر بعد سنة، (٤٢٠هـ/١٠٢٩م) موعد إعلان الخليفة كتابة أمام القضاة والوجهاء[٢].

ج. مسجد الخلافة

إن المسجد الجامع الثالث في بغداد الذي كانت فيه حلقات علمية هو جامع الخلافة، وكانت تقام فيه حلقات علمية على غرار الجامعيين السابقين. والصادر التي بين أيدينا، لم تأت على ذكر هذا الجامع، في أي نشاط يصب في مجال العلوم الدينية، ولعل ذلك يعود إلى إن بناء هذا الجامع كان في الأساس تعبيراً عن مكانة الخلافة، ووجوب أن يكون لها جامع خاص يحضره المصلون أيام الجمع، من دون أن يكون له نشاط آخر، ثم جاءت فترة ضعف الخلافة في القرن الرابع الهجري، لتزيد في عزلة هذا المركز الديني. ولا يظهر أن مرحلة استعادة الخلافة لدورها ابتداء من القرن الخامس الهجري، قد أثرت إيجابياً على دوره في تلك الفترة[٣].

د. جامع براثا، وقطيعة أم جعفر

إما في ما يتعلق بالجامعيين المحسوبين للشيعة، براثا وقطيعة أن جعفر فلا توجد معطيات تشير إلى دور علمي لهما في العهد البويهي، ولكن أحدهما وهو جامع براثا. يبدو أنه شهد جملة حوادث ذات طابع مذهبي، لانعدم فيها بعض المضامين العلمية المذهبية التي كانت تثار بعصبية ملحوظة في عهد آل بويه[٤].

ولكن من الصعب أن يخلو هذا الجامع من أي نشاط علمي في هذه الفترة حيث كان الشيعة يعيشون عهداً ذهبياً على مستوى الإنتاج العلمي، ويبدو من الاضطرابات التي كانت تحدث فيه خلال النصف الثاني من العهد البويهي، إضافة إلى النهاية التي صار إليها مع زوال هذا العهد، أن السمة المذهبية لم تبتعد عن هوية براثا، ما يرجح حصول أنشطة علمية ذات طابع مذهبي بعيدة عن الضوء. في أي حال فإن المعلومات الخاصة بهذا الجامع محدودة جداً، وغير كافية لرسم صورة إجمالية عن تاريخه المثير في القرن الرابع الهجري ومنتصف القرن التالي. وعلى الرغم من بروز أعلام كبار في صفوف الشيعة في هذه الفترة[٥].

هـ. مساجد وجوامع خارج بغداد.

ما تقدم عرض إجمالي عن الأنشطة العلمية في جوامع بغداد الرئيسة، أما جوامع العراق عموماً، فالمعطيات الواردة حول هذا الموضوع شحيحة جداً، ولا يظهر أي اهتمام للمصادر من شأنه الإسهام في معرفة ظروفها العلمية. وهذه ملاحظة تنسب على الجوامع غير الرئيسة، في المدن والنواحي العراقية، بل المراكز الدينية غير الإسلامية أيضاً. وفي الوقت نفسه تشكل إشارة على عدم بروز أنشطة فكرية خارج بغداد، أو قلة أكترث المصادر للأنشطة التقليدية، إذا ما افترضنا وجودها فعلاً، في غير مدينة أو ناحية في أقاليم العراق[٦].

---

[١] الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ج٣، ص١٦٥.
[٢] سلهب، حسن، مرجع سابق، ص٣٥٧.
[٣] التواتي، مصطفى، مرجع سابق، ص١٣٦.
[٤] المرجع نفسه، ص١٣٧.
[٥] المرجع نفسه، ص١٣٧.
[٦] سلهب، حسن، مرجع سابق، ص٣٦٢.

تبقى إشارة محدودة خاصة بجامع وساط[١]، نقلها أيضاً الرحالة المقدسي الذي زار هذا الجامع في نهاية العقد السابع من القرن الرابع الهجري، وهي عبارة عن حادثة جرت بينه وبين أحد المحدثين، وقد ذكر حديثاً عن الرسول (ص) يكرم فيه معاوية مما أدى إلى استغراب المقدسي، قبل أن يثرر المجلس عليه، ثم ينمو بواسطة أحد معارف، أن هذه الحادثة لا تخلو من دلالة مفيدة، سيما وأنها وقعت في ذروة سلطة بني بويه، وفي عهد عضد الدولة تحديداً، ما يعني أن اللون المذهبي للدولة البويهية لم يكن مسحوباً على المراكز العامة، كجامع واسط وغيره، وأن الحرية في ذكر الآراء المخالفة لاتجاه الدولة لم يعوقها عائق حتى عند المتطرفين والمغالين[٢].

أخيراً وفي إطار الحديث عن الأنشطة لجوامع العراق، نورد إشارتين في غير مجال العلوم الدينية الأولى في جامع المدينة، حيث كان علي بن هلال المعروف بابن البواب (ت ٤١٣هـ/١٠٢٢م) صاحب الخط المشهور، يروي القصص المختلفة، والثاني لإبراهيم بن لنكك (ت ٣٦٠هـ/٩٨٠م) الشاعر المشهور، حيث يقول الشعر في جامع البصرة، وقد سجل له أبو القاسم التنوخي بيتين ارتجلهما في لحظة غيظ من بعض العامة:

وعصية لما توسطتهم ضاقت علي الأرض كالخاتم

كأنهم من بعد إفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم

كان إذا هذا أنشطة في الجوامع تخرج عن الأطر الدينية في نشاطاتها[٣].

المبحث الثالث

دور العلم والمجالس الخاصة

على الرغم من ثبات التقليد الإسلامي في العراق البويهي، فيما يخص الجوامع والمساجد كمراكز أساسية لنشر العلوم الدينية، إلا أن ذلك لم يمنع من تطور الأمور في اتجاه جديد، يغدو معه المكان مستقلاً بالموضوع دون غيره[٤]. حيث يتجنب العلماء محاذير التأثير على وقار المسجد كمركز للعبادة بالدرجة الأولى، لاسيما وأن اختلاف العلوم الدينية حيناً، وتعارضها أحياناً، وما يرافق ذلك اتهام لأصحابها بالخروج من الأصول الإسلامية[٥].

الدور العامة:-

١. دار العلم.

يبدأ الحديث عن "دار العلم" في بغداد في العام ٣٨٣هـ/٩٩٣م، حيث قام الوزير البويهي سابور بن أردشير بشراء دار في الكرخ، في محلة تعرف بين السورين، وهي من أكثر النواحي عمراناً في منطقة الكرخ، حولها إلى دار للكتب عرفت لاحقاً بـ"دار العلم". وكنا قد استعرضنا دور العبادة وأهميتها في العلم، ولكن دور العلم كانت لها وظائف مغايرة عن الجوامع والمساجد، ولكن المصادر لا تشير إلى مساحة هذه الدار لكنها ربما كانت من السعة ما يسمح لها بأن تكون مركزاً عاماً لتخزين الكتب ومطالعتها، في وسط حاضرة الخلافة العباسية في تلك الفترة، ولقد أشار أبن الجوزي[٦] إلى أن أردشير قد أطلق عليها اسم "دار العلم" وجعلها وقفاً عاماً، قبل أن

---

[١] المقدسي، مصدر سابق، ص١١٣.
[٢] المصدر نفسه، ص١١٣.
[٣] سلهب، حسن، مرجع سابق، ص٣٦٢.
[٤] منيمة، حسن، مرجع سابق، ص٣٢٣.
[٥] ابن الجوزي،(جمال الدين عبد الرحمن، ت: ٥٩٧ه) المنتظم في تاريخ ملوك الأمم،ت: محمد مصطفى،دار الكتب العلمية ، بيروت(د،ت) ج١٥، ص٣٦٦.
[٦] أبن الجوزي ،مصدر سابق، ج١٥، ص٣٦٦.

ينقل إليها الكتب الكثيرة من أماكن عديدة، ثم أحسن تنظيمها بوضع جداول خاصة لموجوداتها، تسهل عملية الإفادة منها، معيناً أربعة من وجهاء الكرخ لأدارتها والمحافظة عليها[١].

٢. دار الكتب

لقد ورد هذا المكان مرة واحدة في المصادر المتوافرة لدينا، مقروناً بأحد اللغويين هو: عبد السلام بن الحسين المعروف بأبي أحمد البصري (ت ٤٠٥هـ) حيث كان يتولى ببغداد النظر في دار الكتب[٢]. مما يوحي بأن هذا المكان كان مركزاً عاماً أولاً، وتابعاً للدولة ثانياً، لكن المعلومات التالي تفيد بأن أبا أحمد البصري، كان يمنح بعض كتبه، ذات القيمة العالية لبعض السائلين المحتاجين، بطريقة توحي بأن الكتب تعود إليه، لا نستطيع إثبات علاقة السلطة أو الخلافة بهذه الدار، كما لا نستطيع نفي ذلك، خصوصاً إذا ما توقفنا عند العبارة التي ينفرد فيها الخطيب البغدادي، حيث يضيف "وإليه حفظها والأشراف عليها"[٣]. كفاية عن دور مكلف أو موكل به من جهة معينة.

٣. الدور الخاصة

كانت "دار العلم" و "دار الكتب" المركزين الوحيدين في العراق البويهي لهما طابع عام، أما الدور العلمية الأخرى فكانت خاصة، ومرتبطة باسم أصحابها فصلاً عن كونها محدودة في دورها وتأثيرها.

أ. دار دعلج

توقف المصادر عن دار دعلج بن أحمد دعلج المعروف بأبي محمد السجستاني، (ت ٣٥١هـ)، أحد المحدثين الميسورين في بغداد، وكانت له مواقف (أوقاف) خاصة بعلماء الحديث في بغداد ومكة وسجستان. وقد نقل عنه كلام اعتبر فيه أن داره لا يوجد لها مثيل في الدنيا، كونها واقعة في بغداد المدينة الفريدة في الدنيا، وفي قطيعة الربيع الناحية المميزة في بغداد، ثم في درب أبي خلف أجمل أحياء القطيعة وأخيراً لا توجد دار في الدرب أفضل من داره[٤].

ب. دار المرزباني

ويعرف به: محمد بن عمران بن موسى، أبو عبيد الله الكاتب المعروف بالمرزباني، (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) وهو من المحدثين والأدباء والإخباريين المشهورين في زمانه لنقل المصادر[٥]. بأن داره كانت مجهزة لإقامة خمسين رجلاً من أهل العلم مع مستلزماتهم كافة، وأن المرزباني نفسه كان قد تتلمذ وسمع من العلماء في داره.

ومن المعطيات التي تدل على وجاهته في العهد البويهي أن عضد الدولة كان اجتاز في منطقة داره توقف ببابه، حتى يخرج إليه فيسلم عليه وقد سأله الأمير مرة عن حاله فأجابه "كيف حال من هو بين قارورتين؟ يعني المحبرة والنبيذ[٦]. أتهم عبيد الله الكاتب بالتشيع والاعتزال، كما كما أتهم بإيراد الخبر دون مصدره، لكنه مع ذلك كان محموداً في أوساط العلماء، وقد نقل عن أبي علي الفارسي النحوي المشهور قوله "أبو عبيد الله من محسن الدنيا"[٧].

وفي أي حال تعتبر دار المرزباني فريدة في العراق البويهي، حيث إننا نعثر طيلة هذا العهد على دار مماثلة في خدمة العلماء بالطريقة التي تصدى لها أبو عبيد الله الكاتب. ومن غير المستبعد أن يكون لعضد الدولة، الأمير البويهي الموصوف بالأنفاق على العلماء، سهم وأصبح

---

[١] منيمة، مرجع سابق، ص٣٢٤.
[٢] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٥٨.
[٣] ابن الجوزي، المصدر سابق، ج١٥، ص١٨.
[٤] الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ج١١، ص٥٨.
[٥] المصدر نفسه، ج٣، ص٣٥٢.
[٦] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٣٧٢.
[٧] الخطيب البغدادي، المصدر سابق، ج٣، ص٣٥٣.

في إقامة هذا الدار، وتقديم الدعم المالي لها، لاسيما أننا لم نجد في المعطيات المتوافرة ما ينفي ذلك، بل إن العلاقة التي كانت تجمع بين الرجلين من شأنها أن تتجه في هذا الاتجاه[١].
إذا، مع المرزباني يبدو الموقف مختلفاً وشهرته العلمية، حديثاً وأدباً وتاريخاً لا تدنيها شهرة، وإذا ما كان لنا أن نفترض تصوراً لتجربة المرزباني، فإننا نرجح توافر مصدر مالي مستقر خاص به، إضافة إلى ما كان عضد الدولة يقدمه له، وأن اهتمامه بالعلم والعلماء دفعاه لتأسيس ما يشبه محل رعايه ودار تطورت فيما بعد[٢].

ج. <u>دار أو مجلس أبي سليمان السجستاني</u>

لا توجد معلومات مباشرة عن هذه الدار، لكننا، استوحينا ذلك من المعلومات المتوافرة عن، هذا الحكيم الإسلامي في كتب أبي حيان التوحيدي، لاسيما كتابيه "الإمتاع والمؤانسة" و "المقابسات". ففي الكتاب الأول يظهر أبو سليمان حبيس منزله، بسبب فقده لبصره، وبعض الضعف في وضعه الصحي. وكانت مشاركته بجلسات "الإمتاع والمؤانسة" بالمراسلة، وعبر أبي حيان التوحيدي بصورة رئيسة، أما في كتاب المقابسات[٣]. فهو مشارك حاضر يعرض ويعلق ويناظر ويحاجج، من دون وسيط. وإذا كان عاجزاً في تلك الفترة عن الخروج من منزله، فإنه من الرجح أن يكون منزله هو المكان الذي جرت فيه تلك اللقاءات الفكرية الغنية الموثقة في كتاب "المقابسات. وإذا ما ثبت ذلك فإن دار أبي سليمان قد شهدت أبرز المناظرات الفكرية في العهد البويهي، ولا ينافسها على هذه المكانة إلا دار الوزير ابن سعدان وفق ما وثقه أبو حيان التوحيدي في كتابة الإمتاع والمؤانسة[٤].

لم يكن أبو سليمان المحاور أو المحدث الوحيد في مجالس "المقابسات" فقد كان لكل من يحيى بن عدي، وعيسى بن علي، ونظيف الروي، والعامري، القومسي،.. الخ وغيرها مجموعة من الفلاسفة والمفكرين[٥].

د. <u>دار الشيخ المفيد</u>

في الحديث عن الدور الخاصة لابد من الإشارة إلى دار الشيخ المفيد يدرب رياح حيث تعقد مجالس علمية يحضرها العلماء[٦]. ويبدو أن هذه الدار كانت غير المسجد حيث كان الشيخ المنفيد يلقي دروسه. والملاحظ هو حضور العلماء من كافة المذاهب. كما نقل ابن الجوزي الذي أورد الخبر باختصار شديد[٧].

وقد يكون الحديث عن هذه الدار مختلفاً بعض الشيء من الدور السابقة، فهي الدار الوحيدة التي كان يشارك فيها العلماء من المذاهب كافة. وهذا أمر لم نلحظه في معطيات الواردة عن الدور الخاصة المذكورة سابقاً، وإذا كان لنا أن نستنتج شيئاً ما، فهي الحضور العلمي المؤثر للشيخ المفيد في الأوساط العلمية لتلك الفترة. وما كان بعض المشاركين يبغون التعرف على حقيقة المذهب الشيعي، حيث لم يتعهد للتعبير عنها أحد في مستوى الشيخ المفيد من قبل، ومن المفترض أن تكون النية في أطار المناظرة والمناقشة، أن دار الشيخ المفيد أسهمت بشكل أو بآخر في تنشيط الحياة العلمية الدينية وفي مجال الموضوعات الخلافية فقهاً وأصولاً، ولا نعرف ما إذا كان الشيخ المفيد يقدم بعض الخدمات على غرار ما رأينا لدى المرزباني[٨].

---

[١] سلهب، حسن، المرجع نفسه، ص٣٧٢.
[٢] التواتي، مصطفى ،المرجع نفسه، ص١٦١.
[٣] التوحيدي (أبو حيان علي بن محمد ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م)، المقابسات، تحقيق: محمد توفيق حسين، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٠م، ص١٦.
[٤] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص١٥٧.
[٥] المصدر نقسه، ج١٥، ص١٥٧.
[٦] التوحيدي، المصدر نفسه، ص١٦.
[٧] الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج٥، ص٢٧٢.
[٨] المصدر نفسه، ج٥، ص٢٧٢.

هـ. دار أبي الفرج المعدل

مرة أخرى شهد، بعد دار المرزباني، شهد الجانب الشرقي من بغداد، وتحديداً درب سليم، داراً وصفت بأنها كانت "مألفاً لأهل العلم"[١]. لا تذكر المصادر تفاصيل عن الخدمات التي كانت تقدمها هذه الدار للعلماء، وما إذا كنت تشمل الإقامة أم مقتصرة على مجالس العلم، لكن يبدو من عبارة "مألفاً" أنها كانت مكاناً للاجتماع والمباحثة، وربما المسامرة ولا يبدو أن تكون بالإضافة إلى ذلك كفاية عن الاهتمام بأوضاع العلماء الشخصية، وهذا ما نستوصيه من وصف صاحبها لها بأنه "تثير البر والمعروف" كما ورد عند الخطيب البغدادي والمنتظم لابن الجوزي.

ومن المعلومات الواردة عن أبي الفرج المعدل (ت ٤١٥هـ/١٠٢٥م) تشير إلى أنه كان واحداً من المحدثين في زمانه، وأحد تلامذة أبي بكر الرازي في الفقه، كما كانت حياته الخاصة موصوفة بالعبادة، وقراءة القرآن وقد ذكر الخطيب البغداديةبأنه "أحد الموصوفين بالعقل والمذكورين بالفضل"[٢] وقد شهدت دار حضور الكثير من العلماء والأدباء والمفكرين والمحدثين والمحدثين وسواهم[٣].

المبحث الرابع:
مجالس الحكام والأمراء

أ. مجالس الأمراء

يقتصر الحديث عن قصور الأمراء البويهين، كمراكز علمية على أثنين منهم وهما: عز الدولة (ت ٣٦٧هـ/٩٧٨م)، وعضد الدولة (ت ٣٧٢هـ/٩٨٣م)، الأمير الثاني والثالث في سلسلة أمراء بني بويه لأحد عشر الذين حكموا العراق، أما الأمير العاشر وهو أبو كاليجار (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) فلا يبدو أنه كان مهتماً بالفكر والأدب أثناء إمارته، على الرغم من تجربته الفكرية الطويلة التي قضاها مع الداعية الفاطمي المؤيد في الدين[٤].

١. مجلس عز الدولة

فيما يتعلق بمجالس عز الدولة فقد أورد التوحيدي[٥]. واحداً من مشاهدها في سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م، حيث تلتقي مجموعة من أعلام ذلك الزمن حول موضوعات دينية وأدبية مثيرة في مكان خاص وصف بأنه إيوات فسيح[٦]. له نقيب مختص يقوم بإدارته وتجهيزه. وقد أثنى أحدهم على هذا المجلس في قوله "هذا مجلس يبتهى بحضوره لشرفه ويفتخر بالكلام فيه لكثرة من يعرف وينصف"[٧]. وهذه إشارة إلى شيوع أخبار هذا المكان في تلك الفترة بالكلام فيه، ويبدو أن حضور الأمير، إضافة إلى المستوى الموضوعات المطروحة والحرية التي كانت متاحة فيه، جعلته محل استقطاب وتفاخر بين مفكري وأدباء بغداد في تلك الفترة، ثم إن الاطلاع على تفاصيل النقاش الذي أورده التوحيدي يساعد على الاستنتاج بأن هذا المجلس كان يتطرق إلى الخلافات المذهبية بلغة علمية بعيداً عن التعصب أو التقليل من شأن المخالف[٨].

---

[١] المصدر نفسه، ج٥، ص٢٧٣.
[٢] سلهب، حسن، المرجع نفسه، ص٣٧٤.
[٣] المرجع نفسه، ص: ٣٧٤.
[٤] التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج٢، ص١٨.
[٥] المصدر نفسه، ج٢، ص١٩.
[٦] المصدر نفسه، ج٣، ص١١٥.
[٧] المصدر نفسه، ج٣ ، ص١١٥
[٨] سلهب، حسن، مرجع سابق، ص٣٨٠.

ما تقدم صورة مصغرة من أنشطة مجلس عز الدولة، ومن المحتمل أن يكون هذا النوع من المجالس، قد أنتشر بشكل أكبر مما هو في المصادر، ذلك أن تمر الدولة الذي تسلم الإمارة قرابة عقد من الزمان، كان موصوفاً بذائقته الأدبية واهتماماته الفكرية[١].

٢. مجلس عضد الدولة

أما عضد الدولة، فقد كان مهتماً بطريقة تتناسب مع مكانته وإمكاناته على السواء فقد قيل عنه إنه كان يؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الأمراء[٢]. كما ينقل مسكويه في "تجارب الأمم" نصاً مكثفاً عن إسهام عضد الدولة في تشكيل مجالس العلماء والأدباء في زمانه، وهو نص غني بالدلالات والإشارات التي تذهب بعيداً في تقدير أثر هذا الأمير البويهي على الحياة العلمية والأدبية عموماً[٣].

فبعد أن يتحدث عن الرواتب المنظمة لنماذج عديدة من العلماء والأدباء، أن عضد الدولة خصص مكاناً في داره لأهل الحكمة والفلاسفة، جعله قريباً من مجلسه، وأن هؤلاء كانوا يتفاوضون ويتناقشون آمنين من السفهاء، ورعاع العامة، كمال كانوا يتقاضون رسوماً منتظمة تصل إليهم، أو يمنحون الهدايا والكرمات المتواصلة ثم يتابع صاحب هذه المجالس في توفير كل ما يجعلهم أمنين خاصة المقربين منه[٤].

إن هذه الإسهامات المميزة كانت سبباً في انبعاث العلوم بعد موقعها، بل إنها تسببت بحدوث دوافع جديدة للتعليم والتعلم، وبالتالي الإنتاج العلمي والأدبي ما أدى إلى ازدهار الحياة الفكرية والأدبية، وقد ذكرت المصادر أن كلفة هذه الاهتمامات كانت عالية، حيث تم إخراج أموال ضخمة من بيت المال لصرفها في هذا المورد[٥].

ب. مجالس الوزراء

١. مجلس محمد المهلبي:-

يعتبر المهلبي، ثاني وزراء بني بويه، أحد رموز الحياة الأدبية في العراق البويهي، ويظهر من المصادر أن مجالسه كانت عديدة وعامر بشتى صنوف الأدب والشعر، ولا يبدو أنه اتخذ مكاناً واحداً لهذه الغاية والمكان الوحيد الذي تذكره المصادر كان تكبراً، أحد أماكن إقامته التربية من بغداد على الأرجح. وفي التفاصيل أن الصاحب ابن عباد زاره في هذه الناحية أيام وزارته، فاستقدم المهلبي له الخمر من أحد الأديرة، والريحان من أحدى الحانات، وعمر المكان بالغناء، واسترسل الجميع في فن من الانخلاع عجيب كما يوصف في المصادر[٦].

ويبدو مما تقدم أن مجالس المهلبي كانت أدبية في معظمها، على الرغم من غنى ثقافته وتعدد خبرته إلا أن شاعريته ذوقه الأدبي طغى على معظم أنشطته الثقافية وحصر بصورة ما نوع المقربين منه، حيث غلب عليهم الاهتمام الأدبي واللغوي[٧].

وأخيراً نجم عن هذه المجالس مجموعة راقية من الأعمال الأدبية، كما قد تعرضنا إليها في سياق الحديث عن تطور أوضاع الأدب في مختلف المصادر. حيث كان الوزير المهلبي بشكل محوراً رئيساً في اختيار موضوعاتها، كما كان لشاعريته الرقيقة دور في تحفيز الشعراء والأدباء وبالتالي تفجير تراثهم، نصوصاً وقصائد لونت العهد البويهي بطابع خاص[٨].

إذا، كانت هذا المجالس حافلة بأهل العلم والأدباء، ولكن تقدم فيها الشعراء والأدباء عن باقي المفكرين والمثقفين، بسبب، ما كان للأدباء والشعراء من طوفه وملحه ومناومه، مع بعض

---

[١] المرجع نفسه، ص٣٨٠.
[٢] سلهب ، حسن، ص٣٨١.
[٣] المرجع نفسه، ص٣٨١.
[٤] المرجع نفسه، ص٣٨٢-٣٨٣.
[٥] التواتي، مصطفى، مرجع سابق، ص١٦١.
[٦] المرجع نفسه، ص١٧٣.
[٧] المرجع نفسه، ص١٧٣.
[٨] التواتي ، مصطفى، ص١٧٤.

أجواء هذا المجالس الزاهية بالترف والطيبات، فكانت تستدعي هذا النوع من الأنشطة التي تتوضع فيها القصائد الغنائية التي تجلب الفرح والسرور والامتثال بهذه المجالس، فكانت سمة غالبة لهذه المجالس.

٢. مجلس ابن سعدان

أما مع الوزير ابن سعدان، أحد وزراء صمام الدولة ورابع أمراء بني بويه، فالأمر مختلف والاتجاه مغاير. يظهر أن مجالس هذا الوزير كانت في دارته، وكما يبدو فإن الوزير البويهي قد خطط بصورة مسبقة، لكل ما ستحفل به هذه المجالس أو الليالي، حسب لغة التوحيدي. إن المتأمل بالطلب الموجه من ابن سعدان إلى أبي حيان التوحيدي، ليكون بمثابة القيم على موضوعات مجالسه، وهذه خطوة لها دلالاتها الكبيرة، خصوصاً أن الوسيط بين الرجلين كان قيماً على مجلس عز الدولة، وبعد أن يطلب من التوحيدي ترك عمله في متابعة شؤون المارستان إلى ما هو أنبه منه وأجدى، يبوح له بما تترق نفسه إليه في المحادثة والتأنيس بغية تحصيل المعرفة بأشياء كثيرة، لا تزال مصدر قلق وحيرة لفترة طويلة، إذا يعبر الوزير البويهي عن صعوبة تعدادها وإحصائها، فإنه يجد في تعداد المجالس وإحصائها، فإنه يجد تعداد المجالس مجالاً لنشرها وعرضها، مختبأً طلبه بضرورة الاستعداد النفسي لهذا العمل النفيس، مع الحرص الكامل على الرصانة والجدية[١].

أما المضمون العام لهذه المجالس، فيحتاج الأمر إلى مجال واسع لسنا بصدده في هذا العرض المحدود، لكن بالإمكان القول إن أحاديث ليالي الإمتاع والمؤانسة شملت معظم العلوم والفنون الرائجة في تلك الأثناء، كعلم الكلام والتفسير والحديث والفلسفة والأدب واللغة، سواء من جهة الموضوع، أو عبر استعراض لأبرز أعلام هذه العلوم والفنون، ولم يتوان الحضور من الدخول في السياسة والتقاليد الاجتماعية وبعض مشاهد الحياة الشخصية المبتذلة[٢].

ولا شك بأن بغداد في العهد البويهي شهدت أنواعاً عديدة من المجالس، وربما زاحم بعضها مجلس ابن سعدان في الأهمية والعمق، كما رأينا في الحديث عن مجلس أبي سليمان المنطقي في كتاب المقابسات للتوحيد بها، لكن من الصعب العثور على آثار مماثلة لمجالس ابن سعدان في الشكل والمضمون طيلة العهد البويهي[٣].

٣. مجلس ابن صالحان

بعد مجلس ابن سعدان، برز محمد بن الحسن بن صالحان، وزير كل من شرف الدولة وبهائها، حيث امتدت وزارته بين عامي (٣٧٤هـ/٩٨٤) – ٣٨٠هـ/٩٩٠م) أي معظم فترة شرف الدولة، وسنة واحدة تقريباً في عهد بهاء الدولة. المعلومات الواردة لا تكفي لرسم صورة عن اهتماماته العلمية والأدبية. والإفادة الوحيدة التي انطلقنا منها، ترتبط بما ذكره صاحب "المنتظم" من أنه كان لابن صالحان "مجلس نظر يحضره أهل العلم"[٤]. ومن دون ذكر أي تفاصيل عن الموضوعات التي كان يتطرق إليها هذا المجلس، أو الفترة التي كان فيها عامراً. ولكن بالإمكان الاستفادة مما نقله ابن الجوزي "وكان يعطي العلماء والشعراء"[٥].

أن ابن صالحان كان يهتم بقطبي الحياة الفكرية في العراق العلماء والأدباء إذا ما حاولنا التدقيق بمزايا هذا الوزير البويهي، وإنه "كان يحب الخير والعلماء"[٦] فضلاً عن توازنه وتدينه، وتدينه، فإننا نرجح المضمون الديني للعلوم المعروضة في مجلسه[٧].

---

[١] المرجع نفسه، ص١٧١.
[٢] المرجع نفسه، ص١٧٢.
[٣] التواتي ، مصطفى، ص١٧٣.
[٤] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص١٧٣.
[٥] المصدر نفسه، ج١٥، ص١٧٣.
[٦] المصدر نفسه، ج١٥، ص١٧٣.
[٧] سلهب، حسن، مرجع سابق، ص٣٨٨.

لم تحدد المصادر مكاناً لهذا المجلس، وما كان في العراق أو فارس، حيث كان وزيراً واحداً للدولة البويهية بقسميها آنذاك، ما يرجح عدم ثبات هذا المجلس في ناحية واحدة وإذا كانت وفاته حدثت ببغداد في وقت متأخر سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م، بعد أكثر من ثلاثة عقود ونصف على توليه الوزارة، فمن المحتمل أنه تابع اهتماماته العلمية والأدبية في حدود ضيقة وعلى نحو خاصة لم تشر إليه المصادر[١]

الخاتمة

نخلص مما تقدم للقول بأن أماكن العلم ومجالسه المتنوعة قد ازدهرت في حاضرت الخلافة العربية الإسلامية على الرغم من البعد السياسي المتدهور وذلك بفقدان الخلافة العباسية هيبتها وسلطانها المرهوب بين الناس وأصبحت مجرد خلافة صورية، حيث تقدم بني بوية من جنوب إيران سنة ٣٣٤هـ واحتلوا بغداد، وجعلوا الخليفة مجرد أسماً معنوياً ورمزاً.

ولكن كل الدارسين لاحظوا إن تطور مراكز الحياة الفكرية والأدبية في هذا العصر شهدت تطور كبيرًا، وهذه نتيجة واضحة في أسبابها حيث كان هذا القرن الحافل بالمفاجآت عصر الثقافة العربية الإسلامية التي نضجت أسبابها أدواتها وصولاتها الفكرية وقد ارتادت آفاق واسعة من خلال حركات الترجمة والتمازج بين الشعوب التي فتحها الإسلام وتوطن فيها الفكر العربي الإسلامي، وكان اللغة العربية بما هي لغة القرآن الدور الفاعل في شهد أواصر هذه المعارف وحبها في إبداعاتها.

وقد أخذت العوامل تتضافر في هذا الفترة ولاسيما في بغداد التي رغم أنه تتجاذبها توعى متعددة غير مستقرة من عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية ومذهبية، إلا أن الوسط الثقافي شهر ازدهاراً كبيراً وأرينا كيف إن مراكز الحياة الفكرية تنوعت في مناهجها وإنتاجها للمعارف بدأ من علوم الدين الذين أخذ الجوامع والمساجد تعقد لهذا الغرض في النظر في دراسة العلوم النقلية وكل القضايا المستجدة على الشريعة والفكر الإسلامي من جديد وتحديات أنها مراكز علمية منطقية وفلسفية، اشترك في جدلها مختلف الأجناس والأعراف في مختلف الميادين.

وكان المجالس ودور العلم التي أنشأت بمبادرات شخصية حاضرة في هذا التطور الذي شهدته بغداد أبان العهد البويهي، وقد سجلت لنا كتب التاريخ الكثير من هذه المراكز التي من خلالها انتعشت الحياة الفكرية والأدبية، وأمست بغداد قبلة الأنظار للعالم القديم له العهد الوسيط.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١. التوحيدي، (أبو حيان علي بن محمد، ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م) المقابسات تحقيق: محمد توفيق حسين، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٠م.
- الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين، أحمد صقر، دار أحياء التراث، بيروت، ١٩٧١م.
٢. ابن الجوزي، (جمال الدين عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد مصطفى، عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
٣. ابن حوقل، (أبو القاسم الذهبي، (ت بعد سنة، ٣٥٨هـ/٩٦٩م) صورة الأرض منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت (د.ت).
٤. ابن خلدون، (عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتب اللبنانية، بيروت، ١٩٦٦.
٥. الخطيب البغدادي، (أبو بكر أحمد بن علي، ت ٤٦٣هـ/) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب اللبنانية، ط١، بيروت، ١٩٧٧م.

---

(٥) المرجع نفسه، ص٣٨٨.

٦. الصولي، (أبو بكر محمد بن يحيى، ت ٣٣٥هـ) الأوراق في أخبار الراضي بالله والمتقي بالله، باعتناء: ج. هيورث دن، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٣م.
٧. المقدسي، (محمد بن احمد بن البشاري، ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: محمد مخزوم، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧م.

ثانياً: <u>المراجع</u>

١. أمين، أحمد، ظهر الإسلام، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧١.
٢. البستاني، بطرس، أدباء العرب في الاعصر العباسية، مكتبة دار صادر، بيروت، ١٩٣١م.
٣. التواتي، مصطفى، المثقفون والسلطة في الحضارة العربية، ط٢، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٥م.
٤. الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، ط٥، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٤م.
٥. حطيط، أحمد، وآخرون، التعليم في دمشق في زمن المماليك، دار الشرق، بيروت، ٢٠٠١م.
٦. الدوري، عبد العزيز، تاريخ الاقتصاد العراقي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧م.
٧. سلهب، حسن، تاريخ العراق في العهد البويهي، دار الحجة، بيروت، ٢٠٠٨م.
٨. متز، آدم، الحضارة العربية الإسلامية في القرآن الرابع الهجري، ترجمة: محمد أبو ريدة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩م.
٩. منيمة، حسن، تاريخ الدولة البويهية، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٧م.